أنفاس الياسمينة

تصميم الغلاف

إبراهيم عباس ياسين

أنفاس الياسمينة

قصائد منثورة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٦م

أنفـاس الياسمينـة: قـصائد منثـورة / إبـراهيم عبـاس ياسـين.-
دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٦م .- ٨٤ص؛
٢٠ سم.(من الشعر العربي ٢٥١).

١- ٨١١.٩٥٦١ ي ا س أ ٢- العنوان
٣- ياسين ٤- السلسلة
مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«٢٥١»

حالات

إليها

أَيَّتها البهيجة كالفجر ..

الآسرة كالصلاة ..

والـمُوجِعة كالحنين :

لك أن تعلمي أنَّك الحلم والحقيقة

الصوت والصدى

والصرخة والأغنية

وأنَّ تاريخ الياسمين الدمشقيّ

يبدأ من قميص نومك الأبيض !

* * *

-١-

حـالة حصـار

يحاصرني حبك – يا سيدتي – كالريح ..

يحتلُّ أعماقي ويصرخ بأعلى صوتي

هو من يحدّد تواريخ سفري وإقامتي

وهو من يرسم أحلامي وغوايات روحي .

حبك – يا حبيبتي – يعيدني إليّ طفلاً

فأتمنى لو كنت خاتماً بإصبعك

أو سواراً يلتفّ حول معصمك

أو قلادةً تتدلّى على سفوح صدرك

أن أكون ظلّاً أزرق بجفنيك

أو شمساً تشرق من صباحات وجهك

أن أكون الهواء في رئتيك

والنبض في شرايينك

وأن أتوحّد بك تماماً

حتى كما لو أن للقلبين خفقةً واحدة !

* * *

دائمـاً

دائماً .. دائماً ..

تأخذني هذه القصيدة من القلب

وتقودني من أطراف روحي

دائماً .. دائماً .. تسكنني بموسيقا صوتك

وتكتبني بأزهار أصابعك

دائماً تغسلني بأمطار ليل عينيك

وتضيئني دائماً بفجر ابتسامتك

دائماً تدلّني وسط جموع النِّساء إليك

فلا أكون شاعراً إلّا معك

ولا تكتمل أبجديَّتي إلّا بك .

* * *

الأربعاء ٤ / ٤ / ٢٠١٢

اعتيــاد

وما زلت كعادتي – كلَّ صباح –

أعدّ القهوة لاثنين وأنتظر مجيئك

فأرى وجهك مرسوماً

في فناجين قهوتي

ومسوّدات قصائدي

وألمح في ضوء ابتسامتك كرنفالات الأعياد

ومواكب النّجوم السّيّارة

فأميل عليك بقلبي

وأحتوي وجهك بأصابعي العشرة

أنقش قبلتي ما بين عينيك كالوشم

وأقول : أحبُّك .

* * *

انتظـار

ما زلت في انتظار أن يأتيني صوتك

لتكتمل على يديك القصيدة .

* * *

احتمالات

ربَّما نسيت – يا حبيبتي –

في غمرة الأيام المجنونة

ما مرّ بي من حرائق وأوجاع

وما عشته من مآتم وأعياد

ربَّما نسيت اسمي واسم العائلة ..

وتاريخ ولادتي ومكانها

وربَّما نسيتني أيضاً مدائن ونساء

وشوارع كثيرة وحبيبات وأصدقاء

لكنْ لا أظنني سأنسى الاسم

الذي طالما ردَّدته شفتاي كقصيدة حُبّ

ولا الوجه الذي كان يرمي لآلئه كالشمس

على مرايا يومي

وسيبقى اسمك منقوشاً كالوشم في لحم ذاكرتي

وستبقى أصداء ضحكاتك

موسيقا لأعراس شِعري

وسأنحني برفقٍ على قلبي الذي يحتويك ..

وأشرب من ينابيع أنفاسك ..

كلما حلّ العطش بصحراء روحي...

ويوم تبتعدين عني، أو أرتحل عنك ،

يوم تذهبين إلى نهايتك ،

وأمضي أنا مع الريـح .

يوم يتناثر قلبي كشظايا مرآة مُحطَّمة ،

وينطفئ وجهك كقنديل مكسور ...

لن أتنكّر أبداً لزمنك المضيء ،

ولا لحزنـك الجميـل وأوجاعك المشتهـاة ،

وسأظلُّ أحملك علامـة فارقـة في منعرجـات عُمـري

وسأشهد أنك أعطيتِ لقصـائدي اللـون والطعم والرائحـة

ولن أنكـر أبـداً أنَّني (أحببتكِ حقّاً ذات يـوم) !

* * *

إدمـان

.. وما زلت ، كعادتي، كُلَّ ليلـة

أستمع إلى الصّـوت الدّافئ

يندسّ في أحلامي ويقول :

« تصبح على خيـر»

* * *

ابتهال

في ساعات الليل الأخيرة

تصلّي روحي لعينيك صلاة الفجر

وقلبي يبتهل بالدُّعاء

أن تصبحي على خير

أيَّتها الوردة النّائمة !

* * *

نجـمة

.. ومازالت ابتسامتك المضيئة

تشقُّ قمصان الليل من حولي

مُنجِّمة صيف

تُساهرني حتى مطلع الفجر

وتعدني بقصائد أجمل !

* * *

درايـة

أعلم يا سيدتي

أنَّ لك طبائع البحور ونزق العواصف

وأنَّك الشتاء والصيف ..

يجتمعان على سقف واحد

لكنني – أعلم أيضاً –

أن روحك حمامة بيضاء

وقلبك كتاب مقدّس .

* * *

-١-

اعتراف

.. وأعترف :

أعترف أنك وردتي اليانعة

في زمن الورود الاصطناعية

لؤلؤتي الثمينة النادرة

في زمن المجوهرات الزائفة والعواطف الزائفة

كنت قصيدتي في زمن يقتلون فيه الشعراء

ويشنقون القصائد

وكنت معبدي الإلهيّ

في زمن تحترق فيه المعابد وتنكسر المآذن ..

وتنتحر الآلهة .

وكان حبّي لك كبيراً .. كبيراً ..

أرحب من أفق وأوسع من فضاء ..

وما زال حبك أقوى من نيران بنادقهم

وظلال أشباحهم

وسيذهبون – يا حبيبتي – مع الريح لا محالة

وسينطفئون كالزبد تماماً

ووحده .. وحده حبُّك – يا سيدتي –

سيمكث في القلب أبداً .

* * *

-٢-

اعتـراف

أنا العاشقُ الضّـالّ

الـواقـف في مهبّ العـواصـف الهوجـاء

وأعاصيـر الزمن الأعمـى

القـادم إليك من أزمنـة الجنـون والمذابـح

الراكض إلى حضنك الدافئ وصدرك المطمئنّ

الباحثُ فيـك عن وطـنٍ وأغنيـةٍ وحـبّ

خذيني إليك – يا سيدتي –

كطفل خائف من ظلال الأشجار

وأشباح المقابر

واتركيني أتنفّس صوتك وأشرب أنفاسك

لتبتدئ الأغنيات في دمي دورتها

ولتعلن الحياة باسْمكِ ولادتها

ولأشهد – باسْمكِ أيضاً – بأنني قد عشت !

* * *

عبـادة

ليس هـذا زمني – يا سيدتي – كشاعـر

ولا زمنـك كامـرأة عاشقة !

هذا زمن اللصـوص (الكبـار) ..

والشعراء الصّغـار

زمن الملوك المجذومين ..

والأمـراء القَتـلَة

«ولو أنَّهم وَضَعـوا الشمس في يميني

والقمـر في يساري»

لن أتراجـع عن إيمـاني بـك

أو أتـوب عن عبـادة عينيك

وسأعلن انتمائي إلى كتاب وجهك الملائكيّ

وأحبُّك ..

أحبُّك ..

أحبُّك !!

* * *

أعراس الموت

كنت أهيّئ هذه القصيدة للفرح

فأدركتها النيران والقذائف

كنت أوسّع الطريق للعيد

فأعلن الموت أعياده !

* * *

-٢-

حـالة حصـار

إلامَ تنطبقُ هذه السمـوات وتنغلق الأرض ؟

وعلامَ تفتّشُ هـذه الـروح

في بحثها اللائب عن خلاص :

عن سمـاء أم أرض ؟

عن بلاد لا تضيقُ بأهلهـا ..

ولا تسلم مفاتيحهـا للغـزاة ؟

أم عن امـرأة أوقـدتْ أقمـار ياسمينهـا ..

وغابت في البيـاض ؟

ولماذا كلّما تذكّرت الوجه الكوكبيّ ..

والقامةَ الرمحيّة ..

تنْتبهُ عصافير القلب من نومها ..

وتشتعلُ أجراس الحنين في كنائس روحي ؟!

* * *

آخـر الليـل

موحشاً يهبط الليل على صدر المدينة المائلة ..

مزدحماً بالأشباح ومثقلاً بالأصوات والقذائف .

وما بين قذيفة وأخرى أتفقَّد أعضائي ..

وأطمئنُّ إلى خفقان صدرك ..

وأنت إلى جانبي تتنفّسين كوردة ..

وترتعشين كسنبلة .

– خائفةٌ أنت ؟

– من قذيفةٍ تثقب قلب نافذة ،

ومن قذيفةٍ تجثم على صدر زهرة .

أن تأخذنا الريح في دروبها كأوراق مُهملة ..
وأن يمتدَّ بنا هذا الليل ..
فلا يدركه نهار ولا يسفر وجهه عن شمس .
– نامي !
من دفء أنفاسك سيولد ربيع جميل آخر ،
ومن شروق ابتسامتك ..
ستعيد الصباحات سيرتها الأولى .
على يديك ستلتمّ العصافير ..
وتحطّ الكواكب ،
ومن فجر عينيك ستبدأ أعياد وأعياد ..
ربَّما طال بها الدرب قليلاً ..
لكنَّها رغم هوْل المسافات .. ستأتي .

* * *

أنفاس الياسمينة

أنفاس الياسمينة

- ١ -

كل هذا الثراء ..

كل هذا الدفء ..

كل هذا الفرح والضوء والخصب ..

عطرُ الليل الفاضح ..

وبَوْحُ الياسمين الخافت..

يولد من ربيع أنفاسك .

- ٢ -

أنفاسك في الصباح ..

مناديل مبلّلة بأنسام الشوق .

وفي المساء آهاتُ نايات ..

ووشوشاتُ عصافير.

وفي آخر الليل أزهارٌ ربيعيّة ..

تتفتّح على وسادتي .. وتحرس أحلامي ..

(حتى مطلع الفجر).

- ٣-

كلما هبّت عليّ أنفاسك

تتفتّح آلاف الشموس في شراييني

وتدبّ الحياة في سمّاعة الهاتف الباردة

حتى الشتاء ..

حتى الشتاء القارس ..

يصير أكثر دفئاً يا حبيبتي !

- ٤ -

كيف تستطيع أنفاسك

– أيَّتها الياسمينة –

أن توقد الأغنيات المضيئة ..

في أقبية الليل الحالك ؟

وأن تحمل كُلَّ قوافل الأزهار

ورسائل الأطيار المتبادلة بيني وبينك ؟

وكيف يمكن لقصيدة تكتبها أنفاسك ..

أن تجترح كل هذه المعجزات ..

على الأرض ؟

- ٥-

كُلُّ الأشياء – هذا الصباح –

في حالة صمت .

وكُلُّ الكائنات تتوقَّف حابسةً أنفاسها

الأنهار تتوقَّف عن جريانها

والريح تكفّ عن هبوبها

حتى العصافير..

توقَّفت عن الإنشاد ..

وآثرت الإصغاء إلى تراتيل أنفاسك .

- ٦-

لا البحر ، في البعيد ، يتنهّد ..

ولا الأرض تتنفّس ذات صباحِ يومٍ ماطر.

ليست همسات الليل هذه ..

ولا صلوات الفجر..

لكنَّها ... لكنَّها ترتيل أنفاسك ..

أيَّتها الوردة النائمة !

*   *   *

٢٨ / ١١ /٢٠١١

تلاويـن

إنَّه صوتك ..

كما لو أنَّه مطر ربيعيّ

يتساقط في حدائق القلب .

* * *

صوتك فاتحة الصَّلوات ..

وخاتمة المراثي .

بكاء كمنجات ..

وأنّات نايات مسكونة بلهفة العشق

وأمطار اللوعة

رفّ عصافير مسائية

وأسراب فراشات ملوّنة

صوتك قصائد حُبٍّ بيضاء ..

في أزمنة السواد والكراهية

أناشيد براءة في مدائن الزيف والخديعة

ويكفي أن يأتيني صوتك كقبلة صباحية

لتتبرعم أزهار الكلمات على شفتيّ

وتنمو لعصافير الروح أجنحة !

* * *

امرأة بصيغة الجمع

تلك المرأة اللاهية كالفراشات ..

الهائمة في برِّيَّة القلب كغزالة شاردة

المرأة التي تضع الشمس في يمينها ..

والقمر في جبينها ..

والتي تكتب قصائدي ..

بشموع يدها اليسرى !

تلك المرأة التي تنشقّ ابتسامتها عن أزاهير

ولآلئ مضيئة ..

والتي تختزن بعينيها بحـوراً لا شواطئ لهـا

المرأة التي تخبّئ نجمـةً في سرّتها

وفي صـدرهـا حديقـة

وعلى كَتِفَيْها تحطُّ الحمائـم ..

وتلْتمّ العصـافيـر

تلك المرأة التي تنتحر على ركبتيها الأساطير

وتولد من أسرارهـا الأفـلاك والكـواكب

تلك المرأة التي طبعت ما بين عينيها قُبلتي

كالوشم ..

فابتلّت شفتايَ بالنـدى ..

وتسـاقطت الأمطـار من أصــابعي

المرأة التي أضـمّها إليّ كطفـلة ..

والتي تأخذني كـأمّ إلى ربيـع أنفاسـها

تلك المـرأة التي تتدفَّق ضحكاتها كالينابيـع ..

وتنهمر دمعـاتها كالنيازك

المرأة التي أحتوي وجهها بكلتا يديّ ..

والتي تمرّ بيدها على خدّي كغمـامة صيـف

تلك المـرأة التي أراحت رأسها على كَتِفي

والتي ألقيت برأسي على أمـواج صدرها

فانشقّت في عطش الصحـراء الينابيـع

وتدفّقت في عُرْي الرمـال الجـداول .

تلك المـرأة الوردة ..

المـرأة الطفلة ..

والمـرأة الأم والغـزالـة ..

ماضي الأغنيـات وحاضـرها ..

ومستقبل القصيـدة الأجمل ...

أيُّ معجـزة ..

أن تكـوني أنت كلّ تلك النسـاء ..

يا .... حبيبتي ؟!

* * *

من تَجَلِّيات الفراشة

إنّما أنتِ !

سيّدة الأقمار البنفسجية ..

وحوريّة الأنهار الفاتنة .

أنت وردة السرّ المقدّسة ..

وحمامة الأغنيات العاشقة .

أنت انبجاس المطر الخريفيّ الأوّل ..

وكلّ غيمة محمّلةٍ بالأشواق والمواعيد ..

أنتِ .

وما بين ربيع وخريف ..

ما بين إشراق شمس .. وانطفاءة كوكب ..

ما بين انهيار ضحكاتك .. وارتعاش صوتك ..

ما بين موعد أخضر .. ولقاء لم يكتمل ..

ألتقيك كغيمة .. وأودّعك كفراشة ..

وكلما حاولت أن أعانق نخيل قامتك ..

تنفلتين كالضوء .. وتتبدّدين كالعطر .

أحاول أن أطبق عليك يدي ..

وأسوّرك بأهدابي ..

لكنْ من يستطيع أن يقبض على نجمة ؟

ومن يقدر أن يعانق سحابة ؟

من يجرؤ على اصطياد فراشة ؟

ومن الذي يستحمّ بدموع القمر ؟؟

صباح الخير ..

أيَّتها المرأة المتحدّرة ..

من سلالة الأغنيات والقصائد ..

الطالعة كالفجر من أيقونات الأديرة والمعابد !

سأنقش اسمك في جذور الأشجار ..

وفي جبين الكواكب

وسأكتب على خدود الأزهار وأجنحة العصافير ..

وعلى صدر كل غيمة عابرة : أحبُّك .

أحبك أيَّتها الفاتنة كالضوء ..

الرائعة كقصيدة حُبّ !

أنت أوّل نجمة تتألّق في كتاب المساء الأزرق
وآخر غزالة تلتجئ – في زمن القتل الأعمى –
إلى محميّة القلب .
أجمل الأغنيات تولد من قيثارة صوتك
وأرقّ الأنسام تهبّ من ربيع أنفاسك .
على كتفيك تحطّ الحمائم وتلتمّ العصافير
ومن شفتيك تُعتصر الخمور المقدّسة .
حيثما تكوني تَنْهَضِ الأغنياتُ ..
وُيولدِ الفَرَحُ
وحيثما تَذْهَبِي تتبعْك الفراشات ..
وتركضْ خلفك الأنهار حافية

وكلّ صباح لا أعانق شمس وجهك فيه

هو عندي ليل كليل (امرئ القيس)

تنطفئ في ظلامه المصابيح والكواكب

ويصبح نهاري بلا عنوان .

ويا إلهي!

يا إلهي كم أنت آسرةٌ كالحنين ..

ومُوجِعة كالغياب ..

ومدهشة كالطفولة !

كم على الروح أن تكابد من ليل

في انتظار شروقك !

وكم على القلب أن ينزف من دعوات

وأن يوقد من شموع في انتظار لحظات مجيئك !

وكم عليّ – يا سيدتي – أن أتأهّب كالريح

وأن أصيح باسمك في ليل الغياب

وأقول: تعالي !

* * *

الاثنين: ١٤ /١١ /٢٠١١

في غيابك

في غيابك تنطفئ المصابيح

وتنتحر الكواكب

يتراجع البحر عن اليابسة

والغيوم تلملم أثوابها في حقائب الرياح

وترحل

وكُلُّ شيء .. كُلُّ شيء .. في غيابك

بارد كالموت .. وشاحب كالصدى .

* * *

في غيابك تتوحّد الروح

كشجرة عارية

وحيدة ومهجورة

في صحارى الضياع والغربة .

* * *

في غيابك تتشابه الأيام

وتتشابك الأوقات وتختلط

ثم تتساقط كأوراق الأشجار

فوق أرصفة الزمن الخريفيّ الشاحب

تتدلَّى أنجم الليل كمصابيح مكسورة

وتتناثر أضواء الشموس كالمرايا الـمُحطَّمة

تتمطَّى الساعات وتتثاءب الثواني

و«يطول اليوم – في غيابك – أكثر من قرن»

يا حبيبتي !

* * *

كيف لي – بعد اليوم – أن أشقّ بعصاي

بحر الزمن المتجمّد

وأصنع معجزة اللقاء بك ؟

وأنا لست ساحراً ولا نبيّاً

أيَّتها البعيدةُ كنجمةٍ في أقاصي السَّماوات

القريبةُ كرصاصةٍ تنام في اللحم تماماً :

أُ.... حِ ....بُّ.. كِ !

* * *

رغبـات

تستبدُّ بي رغبة مجنونة

أن أتلاشى كالضباب على سفوح صدرك

وأن تذوبي في دمائي كأغنية .

أن أضرب شواطئك كالموج

وأن أعصف في براريك كالريح

أن أرفع بيديّ قُبّتَيْ نهديك

وأن أنقش قبلاتي كالوشم في خريطة جسدك

أن أسافر في خلجانك كملّاح تائه

وأن أتساقط كالمطر الاستوائيّ الهاطل بكثافة

في غاباتك المشتعلة

أن أشرب صدى صوتك

وأتنفّس عبير أنفاسك

فلا نعلم – حين تختلط أنفاسنا –

هل نحن جسدان ؟

أم غيمتان تسبحان في فضاء أزرق ؟؟

وما بين ارتجاف اليد .. وارتعاشة القلب

ما بين أنين ناياتك .. ووشوشاتي باسمك

ما بين اشتعالك بي .. وانطفائي بك ..

ما بين الشهقة الناعمة .. وصرخة الوجع المشتهى

ما بين المدّ والجَزْر .. والحياة والموت

نُعيد في كُلِّ مرَّة تكويننا من جديد

ونعود .. نعود يا حبيبتي

إلى أصولنا الأولى

ناصعين كالضوء ..

أنقياء كالنار ..

وأبرياء كحبّات المطر .

* * *

١٤ /٥ /٢٠١٢

أيَّتها الوحيدة بين النساء !

يا واحدتي !

أيَّتها اليانعة كالعناقيد

الضاحكة كقمر صيفيّ

والدافئة كقبلة صباحية !

أيَّتها اللاهية كغزالة شاردة

المسكونة بشقاوة الأطفال

المملوءة بحنان الأمّهات وإيمان الملائكة والرّسُل

أيَّتها الوحيدة بين النساء

يا امرأة النهار القادمة من منابع الضوء

وبساتين الكواكب :

منذ كم من الأشواق والحرائق

ومن الأعياد والمواجع

وأنت تنامين كحوريّات الأساطير

في سرير عينيّ ..

وتهاجرين كالأسماك في دورتي الدموية ؟

منذ كم من القصائد والأغنيات

وصورتك محفورة في جدران القلب

كأيقونات الكنائس ؟

منذ كم من القلب

وصوتك يمتدُّ في شراييني كالدم

وضحكاتك تشتعل في أوردتي كالنبض ؟

ثم .. منذ كم من الليل

وعيناكِ عصفورتان ليليّتان ؟

وابتسامتُك نجمة صبح ؟

وقامتك الشامخة منارةٌ بحريّة ؟!

منذ كم من الأمطار والحدائق

وكفّك المبسوطة تمرُّ على وجهي

فيعشب خدّي ، لا من بكاء ،

بل من مطر ربيعيٍّ دافئ ؟

ولماذا كُلَّما فكرت في قتلك بداخلي

ترتدّ إليّ يدي «بيضاء من غير سوء» ؟

منذ متى والسماء تفتح لي أبوابها

وتأمرني آلهتها بالدعاء

فأقول: إنها هي – وأقصد أنتِ –

أمنيتي الأخيرة ورجائي الوحيد

أن تظلّي على مدى الكلمات قصيدتي

وأن تبقي إلى آخر الأغنيات والقلب : حبيبتي !

* * *

٢٩ / ١ /٢٠١٢

تحت سقف هذه الحياة

«تحت سقف هذه الحياة

لم يبق لنا من كسرة إلا القصيدة

تعال نقسمها – أنا وأنت –

على مائدة القمر»

– عبير عبد الواحد

- ١-

تحت سقف هذه الحياة :

مآذن أحلام عالية .. وسماء منخفضة

عصافير أشواق بريئة .. وفضاءات مغلقة

غزالات شاردة في براري الصباحات

وكمائن صيّادين خلف الينابيع

تحت سقف هذه الحياة :

مآتم وأعراس . آلهة وشياطين . ملوك وطواويس .

إخوة وأعداء . قطّاع أحلام وقراصنة قصائد .

تحت سقف هذه الحياة :

وردة تتفتّح تحت الركام ..

ولقالق تبني أعشاشها في فوّهات المدافع

ثمّة أيضاً : شاعر يبحث عن قصيدة هاربة

وامرأة تعدّ الكلام (على مائدة القمر)

- ٢-

تحت سقف هذه الحياة

تحت سقفك أيُّها العالم

تحت سقفك يا الله !

دائماً .. دائماً تولد الحياة بصمت

ودائماً .. دائماً تموت بلا ضجّة .

- ٣-

تحت سقف هذه الحياة

تراودني القصيدة عن نفسها

وأنت هنا .. وهناك ..

تنتشرين كالضوء .. وتتضوّعين كالعطر ..

تجلسين على جمر الأصابع المتّقدة

وتتدفّقين في شرايين الصباح كأغنية

وأنا أعدّ لك ما استطعت من القلب

وأتنفّس عبير أنفاسك التي كأنفاس وردة

ربّما تولد باسمك الأغنيات

وتتفتَّح – باسمك أيضاً – أزهار الأناشيد

والقصائد !

- ٤-

تحت سقف هذه الحياة

تطوين في حقائبك معاطف الزمن البائد

وتعيدين تكوين الخلائق

وهناك .. خلف شواطئ عينيك ..

حيث تمتزج السماوات بالبحر

تتناثر مجرّات وتأتلق كواكب

وتتأهّب قطارات أحلام ذاهبة للسفر

في نزهة إلى مائدة القمر

- ٥-

على مائدة القمر

تعالي نقتسم الليل والنهار ..

الكلام والصمت .. والصرخة والأغنية

اتركي لي يديك كآنيتين من فضَّة

ودعيني ألملم ما تناثر من دنانير ضحكاتك

ومن شرفة بيضاء عالية .. عالية ..

تعالي نطلّ على سقف هذه الحياة

كطفلين هاربين من عباءة الليل

ظلالنا خضراء .. وهواؤنا أزرق

وكُلَّما تناثرتْ ألوانُ ابتسامتك كقوس قزح

في فضاءات قلبي قُلْتُ :

المجد لعينيك في العلى

وعلى الأرض السلام

وفي العاشقين المسرّة .

* * *

أغنية أولى .. نهار أوّل

أبتدئ أولى الأغنيات باسمك

وباسمك أيضاً أعلن بدء الرحيل

في مواسم الماء والورد .

أيَّتها الآسرة كالحنين ..

الفاتنة كالحلم ..

والمدهشة كنجمة في زرقة الصبح !

هاأنذا كوكب هائم في ملكوت أسرارك

أسافر في بحور عينيك كملّاح تائه

لعلّي آتي القصيدة بقبس من وهج ابتسامتك

وها أنت – كحوريَّات المعابد –

تتألَّقين بكامل فتنتك ..

وياسمين أعيادك

على شفتيك تتبرعم أزهار الكلام

وعلى يديك تتشكَّل اللغات ..

وتأخذ تلاوينها الأبجدية

لك المجد ..

أيَّتها المرأة القادمة من ممالك الضوء

الذاهبة في ذهب الحقول وفضَّة النجوم السائلة

مجدٌ لعينيكِ المعجزتين ..

تشرقان بالصحو ..

وتمطران بالسحر .

ليدين آسرتين تبتكران الجهات ..

وتنثران في فرح الأمسيات أزهار قوس قزح .

لشمس تشرق من صباحات وجهك الملائكيّ

ولابتسامتك الواثقة ..

ترسم للفجر طريقاً أخضر .

أيَّتها المطلّة – كُلَّ مساء –

على نوافذ الروح كقمر صيفيّ ..

الممتدّة من القلب إلى القلب ..

كزوبعة من عطر !

أنت آخر الحضارات الباسقة ..

في الأزمنة الرديئة الواطئة .

وباسمك تتألّق عناقيد المجرَّات

وترتفع – باسمك أيضاً – أرض الأساطير

عالياً .. عالياً .. عالياً !

* * *

٦ – ٧ / ٥ /٢٠١٣

مسافة للحلم .. مسافة للرُّؤيـا

(أنا لا أحتاج مسافة كي أرى الأشياء،

فيك أنت أرى الأشياء كلّها) .

* بابلو نيرودا

- ١-

بيني وبينك يا سيدتي

أوطان هاربة من أوطانها

وبلاد تبحث عن أهلها

سماءٌ أضاعت سماءها

وبحورٌ تفتّش عن مائها .

بيني وبينك مدائن من وجع

وأسوار من الخوف

فسبحان الذي أسرى بأوردتي

إليك

لألتقيك وردةً من ضوء ..

وغيمةً من عطر ..

وعصفورةً من شجن .

- ٢-

لا ليلَ في الليل الذي يمتدُّ

بيني وبينك

ما زالت ابتسامتك تهزأ بالليل ..

وتسخر بالمسافات

وتحطُّ على وردة الروح

كفراشة عاشقة .

-٣-

بيني وبينك أنك طاعنة في الغياب

وحاضرةٌ في الشرايين والنبض .

-٤-

بيني وبينك أنّي تعرَّفتُ بك ومعك

إلى أبجدية الاسم

ويكفي أن تهمس شفتاك باسمي لأقول :

(هذا الاسم لي) .

وكلما ناديتُ باسمك

اغتسلتْ شفتاي بالضوء

وتسَـاقطتِ الأمطار في شوارع روحي .

-٥-

وجهك فاتحة الأغنيات ..

واسمك صلاةٌ في فمي .

-٦-

بيني وبينك قصائد لم تكتمل ..

وأغنيات لم تولد بعد .

أقواس قزح مضيئة ..

وعصافير أحلام مازالت في طيرانها الأوّل .

بيني وبينك أيضاً :

لا شيء سوى .. أنتِ !

- ٧-

تَبْسِمِينَ ...

فتعلن السموات أعراسها ..

وتأخذ الأرض زينتها .

وحينما يمرّ بك الحزن تنكفئ النجوم ..

وتتحطم المصابيح والكواكب

وتعلن العصافير إضراباً عن الأناشيد

(حتى إشعار آخر) .

- ٨-

كلّ صباح لا يبدأ من إشراقة ابتسامتك

لا يُعوّل عليه .

- ٩-

أقول لك : نامي

وأترك قلبي حولك ساهراً

كملاك حارس لحدائق أحلامك المعلّقة .

- ١٠-

مدّي إليّ يديك يا سيدتي

وخذيني بعينيك حلماً شريداً ..تائهاً ..

هارباً من قذيفة طائشة .

دثّريني بدفء أنفاسك ..

واتركيني أقرأ بعينيك ما تُسرّ به النجوم

وما تبوح به الكواكب

دعيني أكتبك بأزهار أصابعك ..

وربيع ابتساماتك

وسأعترف : أعترف بأنَّك قصيدتي

التي حروفها من ضوء ..

وقوافيها من مطر .

وبأنني – في حضورك البهيّ –

أعانق الوجود كاملاً .

* * *

١٦ /٦ /٢٠١٣

نـداء ... نـداء .. !

كحورية طالعة من معابد الليل

شعرها للريح ..

ونهداها للشمس والمطر .

تقتربين منّي كغزالة ..

وتبتعدين عنّي كسهم

على شفتيك تتألق النجوم

وتطلع شمس من مرايا صدرك

وأنا بلهفة طفل .. وعناد نملة ..

أحاول أن ألتقط ما تناثر من حبات مطر سوداء ..

على خريطة جسدك

وألتقط دمعة ذرفتها النجوم

على مرايا ظهرك .

أن أرسم بلساني استدارة سرَّتك

وأقبّل قمراً آسر الأسرار ..

يلوح من وراء ستائر السحب .

عبثاً أحاول يا سيدتي أن أقبض على الضوء ..

عبثاً أحاول أن أسكن في الريح ..

وأسافر في غيمة ..

وهاأنذا أرفع صرخة قلبي الحمراء ..

وأمدّ إليك يدي كمئذنة مكسورة

وأصيح : تعالي !

*   *   *

٤ /٩ /٢٠١٤

فهرس

الصفحة

حالات

الصفحة

أنفاس الياسمينة

الطبعة الأولى / ٢٠١٦م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة